جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة الثانية

المادة

عصر الرسالة

م. د ازهار غازي

٢٠١٥ ١٤٣٦

وقد عادت أم أيمن بالرسول ﷺ الى مكة وقد أصبح يتيم الأم والأب وعمره لما يتجاوز السادسة على أرجح الأقوال. وتشير المصادر التاريخية الى ان ذكرى هذا الحادث الأليم قد بقيت حية في نفس الرسول ﷺ حتى أنه حين مرّ بقبر أمه في منطقة الأبواء في عمرة الحديبية في السنة السادسة للهجرة وقف عليه «فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ، فقيل له، فقال: أدركتني رحمتها فبكيت». (٧٤)

خامساً: حياة محمد ﷺ مع جدّه:

انتقلت العناية بمحمد ﷺ بعد وفاة والدته الى جده عبد المطلب. وكانت تعينه في هذا المجال مولاته وحاضنته أم أيمن. وقد حرص عبد المطلب أن يعوض الرسول ﷺ عن فقدان حنان أمه فضاعف من اهتمامه به وحرصه عليه. وكان من مظاهر هذا الاهتمام، ما ذكره ابن اسحاق من أنه «كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له، قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب، اذا رأى ذلك منهم: دعوا بني، فوالله ان له لشأنا، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده». (٧٥)

كما ذكر ان عبد المطلب كان يوصي أم أيمن بألا تغفل عن مراقبة الرسول والاهتمام به، حتى أنه قال لها مرة «يا بركة لا تغفلي عن ابني، فاني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة». (٧٦)

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً الاّ قال: علي يابني، فيؤتى به اليه». (٧٧)

وحين حضرت الوفاة عبد المطلب، وكان قد غدا شيخاً كبيراً قدّر الأخباريون سّنة بما يزيد على اثنين وثمانين عاماً (٧٨)، وكان قد فقد بصره (٧٩)، أوصى ابنه أبا طالب بحفظ

---

(٧٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٦ - ١١٧.

(٧٥) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ١٦٨.

(٧٦) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ١١٨.

(٧٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٨.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٩.

(٧٩) الأزرقي: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٢٣.

رسول اللّه ﷺ وحياطته [٨٠] ، ربما لأنه كان وعبداللّه والد الرسول ﷺ أخوين من أم واحدة [٨١] .

لقد كان من الطبيعي أن يتأثر الرسول ﷺ لوفاة جدّه كثيراً بعد أن ذاق في كنفه كل رعاية وحنان . وقد وصفت أم أيمن حالة رسول اللّه ﷺ عند وفاة جده بقولها : «رأيت رسول اللّه ﷺ يومئذ يبكي خلف سرير عبد المطلب» [٨٢] . وقد سئل رسول اللّه ﷺ بعد ذلك ان كان يتذكر موت عبد المطلب فقال : «نعم أنا يومئذ ابن ثماني سنين» . [٨٣]

سادساً : حياة محمد ﷺ مع عمّه :

انتقل محمد ﷺ بعد وفاة جدّه الى دار عمّه ابي طالب وكان اسمه عبد مناف ؛ للعيش في كنفه مع بقية أفراد عائلته . وقد تولى ابو طالب كفالة الرسول ﷺ على الرغم من أنه لم يكن اكبر اخوته ، فقد كان الحارث اكبر منه سنّا ، ولم يكن اكثر اخوته مالاً ، فقد كان العباس أغنى منه كثيراً [٨٤] . بل ان المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن ابا طالب كان لا مال له ، الاّ أنه كان يحب ابن أخيه محمدا ﷺ «حبا شديداً لا يحبه ولده» [٨٥] . لذا فقد رويت عنه العديد من صور الرعاية والعناية التي تعبّر عن هذا الحب . فقد روى أنه كان «لا ينام الاّ الى جنبه ، ويخرج فيخرج معه .... وكان يخصه بالطعام» [٨٦] .

وقد روى أن ابا طالب كان يتجهز للسفر الى الشام في احدى القوافل التجارية لأهل مكة ، فتعلق به رسول اللّه ﷺ وتوسل اليه أن يأخذه معه بقوله : «يا عم الى من تكلني؟ لا أب لي ولا أم ، فرق له ابو طالب ، وقال : واللّه لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه ابداً» . [٨٧]

---

(٨٠) ابن سعد : **الطبقات** ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٨١) ابن هشام : **السيرة** ، ق ١ ، ص ١٧٩ .

(٨٢) ابن سعد : **الطبقات** ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٨٣) **المصدر نفسه** ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٨٤) ابن قتيبة : **المعارف** ، ص ٧١- ٧٦ ؛ جواد علي : **تاريخ العرب في الاسلام** ، ص ١٠٢ .

(٨٥) ابن سعد : **الطبقات** ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٨٦) **المصدر نفسه** ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٨٧) ابن اسحاق : **المغازي** ، ص ٥٣ .

وقد اختلفت الروايات في تقدير عمر الرسول ﷺ حينما صحب عمّه في هذه الرحلة ، فقد ذكر الطبري ان عمره كان تسع سنوات ، (٨٨) بينما أورد ابن قتيبة وابن سعد رواية تشير الى ان عمره كان اثنتي عشرة سنة (٨٨) ، وقد أتاحت هذه الرحلة الطويلة للرسول ﷺ على الرغم من صغر سنّه أن يشاهد العديد من القرى والمدن في خارج بلده ، فرأى « بصرى ومدين ووادي القرى ومواقع أخرى جميلة ذات زرع وضرع وعيون وآبار لا تقاس بها مكة ، ولا أي موضع آخر في الحجاز وشاهد رهباناً ونصارى يقيمون في تلك الأماكن » (٩٠) . ولابد ان تلك المشاهدات كان لها أثر في توسيع دائرة تفكيره واهتماماته ضمن حدود معينة .

لقد أوردت العديد من المصادر التاريخية أن الرسول ﷺ كان يعمل في صغره وصباه في رعي الغنم . فقد رعى الغنم في صغره مع أخيه في الرضاعة عندما كان عند حليمة السعدية ، كما أوضحنا ذلك ، كما رعى الغنم في مكة بعد عودته اليها . فقد روي أن الرسول ﷺ قال يوما لأصحابه لقد رعيت الغنم لأهل مكة بالقراريط (٩١) . ويبدو أنه قد مارس هذه المهنة في مكة بعد انتقاله الى بيت عمّه ابي طالب بهدف مساعدة عمه اقتصادياً . فقد أورد ابن اسحاق رواية في هذا المجال تؤكد انه كان في سن الفتوة حينما كان يمارس مهنة رعي الغنم . فقد ذكر ابن اسحاق ان الرسول ﷺ قال : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء الاّ ليلتين ، كلتاهما عصمني اللّه عزّ وجل فيها . قلت ليلة لبعض فتيان مكة ، ونحن في رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي : تبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان؟ فقال : علي ، قال : فدخلت حتى اذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا؟ فقيل : تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر ، وضرب اللّه عزّ وجلّ على أذني ، فواللّه ما أيقظني الامس الشمس . . » (٩٢)

ان النص المتقدم يشير بالاضافة الى ما ذكرنا أن الرسول ﷺ كان فتى جادا لا تستهويه مظاهر اللهو والطرب التي تستهوى عامة الشباب من قومه . وربما كان ذلك أمراً

---

(٨٨) الطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٨٩) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٨٨ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٩٠) جواد علي : تاريخ العرب في الاسلام ، ص ١٠٦ .

(٩١) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

(٩٢) ابن اسحاق : المغازي ، ص ٥٨ ، الطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

طبيعيا لشخص نشأ في ظروف صعبة كتلك الظروف التي عاش في ظلها الرسول ﷺ منذ ولادته وحتى انتقاله الى بيت عمّه أبي طالب.

وان مما يؤكد هذا البعد في شخصية الرسول ﷺ مشاركته في حرب الفجار، وكانت هذه الحرب قد وقعت بين قبيلة كنانة وقبيلة قيس عيلان من هوازن. وقد دخلت قريش هذه الحرب لمناصرة حليفتها كنانة. وكان السبب الذي هاج هذه الحرب أن أحد أفراد قبيلة قيس عيلان تولى حماية قافلة تجارية «لطيمة» تعود للنعمان بن المنذر متجاوزاً في ذلك على حقوق أحد أفراد قبيلة كنانة في حمايتها فقام البراص بن قيس (من كنانة) بقتل عروة الرحال (من هوازن) واستولى على القافلة، فأدى ذلك الى نشوب الحرب. وقد سميت هذه الحرب بحرب الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم التي لا يجوز فيها القتال[٩٣]. «وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى اذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس»[٩٤]. وقد انتهت هذه الحرب بالصلح بين الطرفين.[٩٥]

وقد ذكر أن الرسول ﷺ شارك في هذه الحرب الى جانب أعمامه. وقد روى عنه انه قال: «كنت أنبل على أعمامي أي أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها».[٩٦] وقد ذكر ابن اسحاق أن حرب الفجار هاجت «ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة»[٩٧]، وقد ذهب الى نفس القول كل من ابن قتيبة[٩٨] والطبري[٩٩] وابن سعد[١٠٠] والمسعودي[١٠١]. غير ان ابن هشام يروي أن عمر رسول الله ﷺ كان في ذلك الحين اربع عشرة سنة او خمس عشرة سنة.[١٠٢] ويبدو ان ابن هشام قد قبل هذه الرواية لأنه

---

(٩٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ق ١، ص ١٨٤ – ١٨٦.

(٩٤) المصدر نفسه، ق ١، ص ١٨٦ – ١٨٧.

(٩٥) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ١٢٨.

(٩٦) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ١٨٦.

(٩٧) المصدر نفسه، ق ١، ص ١٨٦.

(٩٨) المعارف، ص ٨٨.

(٩٩) تاريخ، ج ٢، ص ٢٨٧.

(١٠٠) الطبقات، ج ١، ص ١٢٨.

(١٠١) مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٩٤

(١٠٢) السيرة، ق ١، ص ١٨٤.

كان قد ذكر أن دور الرسول ﷺ في هذه الحرب كان مقتصراً على مساعدة اعمامه في القتال وليس مباشرة القتال بنفسه. غير أن أغلب الروايات كما قدمنا تذهب الى أن عمر الرسول ﷺ كان عشرين عاما وأنه قد ساهم بصورة فعلية في القتال الى جانب اعمامه. وقد روى عن الرسول ﷺ انه قال عن يوم الفجار: «قد حضرته مع عمومتي، ورميت فيه بأسهم، وما أحب أني لم أكن فعلت». (١٠٣)

ويبدو أن الرسول ﷺ بعد أن بلغ مبلغ الرجال أخذ اهتمامه بالقضايا العامة يتزايد، وأخذ قومه يلحظون في شخصيته هذا الجانب. لذا فانهم حينما اجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان لعقد حلف الفضول – كما أوضحنا ذلك سابقاً – دعوا الرسول ﷺ لحضور هذا الاجتماع، وكان عمره حينذاك عشرين عاماً (١٠٤). وقد كانت مساهمة الرسول في حضور هذا الاجتماع موضع اعتزازه وفخره. لذا فقد روى عنه أنه قال: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الاسلام لأجبت» (١٠٥).

لقد استهدف حلف الفضول مساعدة «المظلوم حتى يؤدى اليه حقه... وفي التآسي في المعاش» (١٠٦)، وهي أهداف تلتقي مع المثل العليا التي جاء بها الاسلام، فكان من الطبيعي أن يؤكد الرسول ﷺ بعد نزول الرسالة عليه أنه لو يدعى في الاسلام لعقد مثل هذا الحلف فانه سيلبي الدعوة.

كان محمد ﷺ يعيش في بيت عمّه ابي طالب، وكا ن عمّه كثير العيال، وليس له مال (١٠٧)، وقد حاول الرسول ﷺ في صغره وصباه ان يساعد عمّه فعمل في رعي الغنم لقاء أجور بسيطة «قراريط»، ولابد أن الرسول ﷺ حين جاوز مرحلة الصبا وبلغ مبلغ الشباب حاول ترك مهنة الرعي والاشتغال بعمل يناسب سنّه ويدر عليه ربحا أوفر. وكان المجال الوحيد المتاح له هو العمل في التجارة، مهنة آبائه وأجداده.

---

(١٠٣) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ١٢٨.

(١٠٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٨.

(١٠٥) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ١٣٤.

(١٠٦) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ١٢٩.

(١٠٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٩.

ولا تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات تساعدنا على تكوين فكرة واضحة عن عمل الرسول ﷺ قبل ان يصل الى سن الخامسة والعشرين ويتصل بخديجة للعمل في تجارتها. غير ان الروايات التي تذكرها المصادر عن الدوافع التي حملت خديجة لتكليفه بالعمل في تجارتها توحي بأنه كان صاحب خبرة في هذا المجال وأنه كان يتمتع بسمعة طيبة، مما دفع خديجة لمحاولة اغرائه للعمل لديها وذلك بدفع أجور تصل الى ضعف ما تدفعه لغيره من الأجراء. يقول ابن اسحاق أنه لما بلغ خديجة «ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت اليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً الى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار». (١٠٨)

ويقدم ابن سعد بعض التفصيلات التي تزيد الصورة وضوحاً، فهو يذكر ان أبا طالب حاول اقناع الرسول ﷺ للعمل في تجارة خديجة مقابل مساومتها على دفع اجور له تصل الى ضعف ما تدفعه لغيره. يقول ابن سعد: «قال ابو طالب: يا ابن أخي، قد بلغني أن خديجة استأجرت فلانا ببكرين (أي جملين) ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته، فهل لك أن تكلمها؟ قال: ما أحببت فخرج اليها فقال: هل لك ياخديجة أن تستأجري محمداً؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا ببكرين، ولسنا نرضى لمحمد دون أربع أبكار» (١٠٩) فوافقت خديجة على ذلك من دون تردد.

ان ما تقدم يشير الى ان محمداً ﷺ كان يمارس التجارة في سوق مكة منذ فترة طويلة، وأنه كان قد اكتسب خبرة وسمعة جيدة بين الناس، مما جعله لا يوافق على العمل بأجور موازية لأجور أقرانه من الشباب الذين كانوا يشتغلون في التجارة.

ويبدو أن الذي حمل الرسول ﷺ على الموافقة على تأجير نفسه للعمل في تجارة الآخرين أنه «لم يكن له كبير مال» (١١٠) للعمل فيه وتنميته، كما يذكر الزهري.

وهنالك من الأخبار ما يدل على ان الرسول ﷺ قد شارك غيره في العمل التجاري. فقد روى أن السائب بن ابي السائب قدم على رسول الله ﷺ وكان شريكه قال: «أما تعرفني؟ قال: أما كنت شريكي؟ فنعم الشريك، كنت لا تداري، ولا تماري». (١١١)

(١٠٨) ابن اسحاق: المغازي، ص ٥٩.

(١٠٩) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص ١٣٠.

(١١٠) ابن سيد الناس: عيون الاثر، ج ١، ص ٧٣.

(١١١) ابن القيم: زاد المعاد، ج ١، ص ٨٣.

سابعاً : زواج محمد ﷺ من خديجة :

ان خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، امرأة من صميم قبيلة قر كما هو واضح من نسبها ، وأمها فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن عامر ابن لؤي[١١٢] ، و أبوها خويلد زعيم عشيرته وقائدهم «وفي ولده البيت والعدد»[١١٣] . وقد ولد لخو ثلاث بنات هن : خديجة (ام المؤمنين) ، وهالة ، ام ابي العاصي بن الربيع صهرا ﷺ ، ورفيقة ، وثلاث بنين هم : العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) ، وحزام خويلد (والد حكيم بن حزام) ، ونوفل بن خويلد .[١١٤]

وقد تزوجت خديجة قبل الرسول ﷺ رجلين ، كان الأول هو عتيق بن عائد المخزو فولدت له ابنة كانت تسمى أم محمد ، تزوجها صيفي بن أبي رفاعة ، وقد قتل في مع بدر كافراً[١١٥] . وأما زوجها الثاني فكان : أبا هالة هند بن زرارة بن النباش التميمي وقد ولد له منها ابن أسماه هندا . وقد بقي هند مع أمه بعد زواجها من رسول الله ﷺ وعاش في كنفه[١١٦] . وكان يفخر بأنه ربيب رسول الله ﷺ ، وأنه أكرم الناس أبا وأخا وأختا ، فكان يقول : «أبي رسول الله ﷺ ، وأمي خديجة ، وأختي فاطمة ، وأخ القاسم»[١١٧] . وقد عاش حتى «شهد أحداً ، وقيل شهد بدرا . . ومات بالبصرة»[١١٨]

لقد وصفت المصادر خديجة بأنها «أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهم شر وأكثرهم مالاً»[١١٩] . كما قيل عنها أنها «أمرأة حازمة ، جلدة»[١٢٠] ، وأنها كانت «ا تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله منه»[١٢١] .

---

(١١٢) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٧٩.

(١١٣) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ١٢٠ .

(١١٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ – ١٢١ .

(١١٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(١١٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ ، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٨٠.

(١١٧) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢١٠ .

(١١٨) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .

(١١٩) ابن اسحاق : المغازي ، ص ٦٠.

(١٢٠) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(١٢١) ابن اسحاق : المغازي ، ص ٩٩.

ولم يوضح لنا المؤرخون الذين تحدثوا عن خديجة كيف أصبحت غنية ومن اين جاءت ثروتها . لذا فان للباحث أن يفترض بأن نواة ثروتها ربما جاءتها عن طريق زوجها عتيق وأبي هالة فضلاً عما أخذته عن أبيها خويلد . وقد استطاعت ان تنمي ثروتها عن طريق العمل بالتجارة .

وتذهب معظم الروايات التاريخية الى أن عمر الرسول ﷺ حين تزوج من خديجة كان خمساً وعشرين سنة . أما هي فكان عمرها أربعين سنة(١٢٢) . وقد أشارت إحدى الروايات الى أنه كان « ابن ثلاث وعشرين سنة وخديجة بنت ثمان وعشرين سنة »(١٢٣) ، في الوقت الذي ذهبت فيه رواية أخرى الى أن عمر خديجة (رض) كان « ان ذاك خمساً وثلاثين وقيل خمسا وعشرين »(١٢٤) . ويبدو أن الروايات التي تذهب الى أن عمر خديجة (رض) كان يقل عن أربعين سنة حين زواجها من الرسول ﷺ هي الأقرب للصواب وذلك لأنها إستطاعت أن تنجب من الرسول ﷺ سبعة أولاد قبل أن يدركها سن اليأس ، علماً بأن هذه السن تأتي النساء في البلاد الحارة بصورة مبكرة(١٢٥) .

لقد بدأت علاقة خديجة مع الرسول ﷺ حين كلفته للقيام برحلة الى الشام للمتاجرة في أموالها ، وقد أرسلت معه في هذه الرحلة غلاماً لها يدعى ميسرة . فخرج الرسول ﷺ مع ميسرة في قافلة تجارية لقريش الى بصرى في بلاد الشام ، فباع ما معه من بضاعة هناك ، وإشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل راجعاً الى مكة ، فباعت خديجة ما جاء به ، فربحت ضعف ما كانت تربح عادة . لذا فقد دفعت للرسول ﷺ ضعف ما سمت له من أجور لقاء قيامه بهذه الرحلة(١٢٦) .

وقد أشارت بعض المصادر المتأخرة الى أن علاقة الرسول ﷺ التجارية كانت قد بدأت مع خديجة قبل رحلته الى الشام ، فقد ذكر ابن سيد الناس رواية عن الزهري تقول أنه « لما إستوى رسول الله ﷺ ، وبلغ أشده ، وليس له مال كبير إستأجرته خديجة بنت خويلد الى سوق حباشة بتهامة واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش ، فقال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها ما رأيت من صاحبة لأجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا

---

(١٢٢) الطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
(١٢٣) ابن حبيب : المحبر ، بيروت ١٣٦١ هـ ، ص ٧٩ .
(١٢٤) إبن كثير : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٣١ .
(١٢٥) العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، ص ٢٣٦ .
(١٢٦) ابن اسحاق : المغازي ، ص ٥٩ – ٦١ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣١ – ١٣٣ .

وصاحبي الاّ وجدنا عندها تحفة من طعام تخبؤه لنا »[١٢٧] كما أورد إبن كثير رواية تقول ان الرسول ﷺ قال : « أجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلاص – أي ناقة »[١٢٨] .

فإذا صّحت هذه الروايات فلابد أن علاقة الرسول ﷺ مع خديجة كانت قد بدأت قبل رحلته الأخيرة الى الشام بمدة مناسبة سنتين أو أكثر، وأنه قد قام لها خلال هذه الفترة بعدة رحلات تجارية الى مناطق وأسواق مختلفة . بل أن مفاوضة أبي طالب لها من أجل أجور أعلى للرسول ﷺ قبل رحلته الى الشام جاءت ليس بمناسبة إبتداء عمله عندها ، بل من أجل إتفاق جديد وبأجور تتناسب وكفاءة محمد ﷺ ، وما كان يحققه لها من أرباح .

إن رواية الزهري التي يشيد فيها الرسول ﷺ بكرم خديجة ، وأنها كانت تفاجئ وصاحبه كلما عاد من رحلة تجارية بتحفة من طعام كانت تخبؤها لهما ، توحي بأن خديجة كانت قد أسقطت الكلفة والحواجز في الحديث والمجالسة مع الرسول ﷺ مما ينسجم مع الرواية التي أوردها إبن إسحاق من أن خديجة – حينما إقتنعت بفكرة الزواج من الرسول ﷺ ، وبخاصة بعد أن حدّثها غلامها ميسرة عن أوضاعه وأخلاقه في رحلته معه الى الشام – بعثت اليه ، فقالت له : « يابن عم ، إني قد رغبت فيك لقرابتك مني ، وشرفك في قومك ، وسطتك فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ،وصدق حديثك »[١٢٩] .

ويبدو أن الرسول ﷺ ، قد فرح بعرض خديجة الزواج منه فرحب به ، وتذهب بعض الروايات الى أن خديجة قد مهّدت لمفاتحته بالزواج بأن أرسلت إليه إحدى صديقاتها ، وهي نفيسة بنت منبه للتعرف بصورة غير مباشرة على رأيه بالزواج من خديجة ، فقالت له : « يا محمد ما يمنعك ان تزوج ؟ فقال : ما بيدي ما أتزوج به ، قالت : فإن كفيت ذلك ، ودعيت الى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب؟ قال : فمن هي؟ قالت : خديجة ، قال : وكيف لي بذلك؟ قالت .. علّي ، قال : فأنا أفعل »[١٣٠] .

وتشير الروايات الى أن كلا من خديجة ومحمدا ﷺ قد بادرا بعد إتفاقهما على الزواج ، الى إستكمال متطلبات الخطوبة . فأرسلت خديجة الى عمها ليزوجها لأن والدها كان قد

---

(١٢٧) عيون الأثر ، ج ١ ، ص ٧٢ – ٧٣ .
(١٢٨) السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٣٢ .
(١٢٩) ابن اسحاق : المغازي ، ص ٦٠ .
(١٣٠) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣١ .

توفي ، كما ذهب الرسول ﷺ الى أعمامه من أجل إصطحابه للذهاب الى عمها لمفاتحته بأمر الزواج (١٣١) . وقد ذكر إبن إسحاق ان الذي إصطحب الرسول ﷺ من أعمامه هو حمزة ، فدخل على عمها « فخطبها اليه ، فتزوجها رسول الله ﷺ » (١٣٢) . وقد ذكر ابن إسحاق أن الرسول ﷺ قد دفع صداقاً - أي مهراً - لخديجة عشرين بكرة - أي عشرين جملاً (١٣٣) .

وبزواج الرسول ﷺ من خديجة ، إنتهت إقامة الرسول ﷺ في بيت عمّه أبي طالب ، فإنتقل الى بيت زوجته خديجة في رباع بني أسد ، قرب المسجد الحرام (١٣٤) .

لقد وفّر زواج الرسول ﷺ من خديجة ، للرسول حياة الاستقرار والطمأنينة ، ولم يعد العمل من أجل توفير سبل العيش يقلقه ، فقد أغنته أموال خديجة عن ذلك ، وإن كان ذلك لم يصرفه عن العمل ، ولابد أنه قد خصص قدراً من وقته لادارة أموال خديجة والاشراف على تجارتها. ولكن لم تصل الينا أية أخبار عن قيامه بنشاطات تجارية في مكة او قيامه بأية رحلات الى خارجها منذ تزوج خديجة.

ويبدو من دراسة مجمل حياة الرسول ﷺ مع خديجة منذ زواجه منها وحتى وفاتها قبل هجرته الى المدينة بثلاث سنوات أي على مدى أربع وعشرين سنة وعدة أشهر (١٣٥) ، أنه كان سعيداً معها ، بدليل أنه لم يتزوج عليها أية إمرأة أخرى ، وأنها قد أنجبت له جميع أبنائه وبناته ، عدا إبراهيم ، الذي أنجبته له مارية القبطية بعد هجرته الى المدينة .

لقد أنجبت خديجة للرسول ﷺ قبل البعثة سبعة أبناء وبنات ، وهم كل من : القاسم ، وبه كان يكنى ، فيدعى أبا القاسم ، والطاهر والطيب ، وقد توفي ثلاثتهم وهم صغار قبل البعثة (١٣٦) . أما البنات فهنّ : زينب ، وقد تزوجت أبا العاص بن الربيع ، وبقيت معه حتى وفاتها في السنة السابعة للهجرة . ورقية ، وقد تزوجها عتبة بن أبي لهب ، الاّ أن أباه أمره بتطليقها نكاية بالرسول ﷺ بعد البعثة فتزوجها عثمان بن عفان (رض) ، فبقيت معه الى أن توفيت في المدينة في السنة الثانية للهجرة ، وأم كلثوم ، وكان قد تزوجها

---

(١٣١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .
(١٣٢) ابن إسحاق : المغازي ، ص ٦٠ - ٦١ .
(١٣٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق ١ ، ص ١٩٠ .
(١٣٤) الأزرقي : اخبار مكة ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .
(١٣٥) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٨٠ .
(١٣٦) ابن إسحاق : المغازي ، ص ٦١ ، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٨٣ .